بعد الحرب

للأستاذ كمال النجمي

لمن أربع يشجو القلوب دثورها ... تحمل أهلوها وأقوت قصورها
منازل كم باتت بأمن وغبطة ... ونازلها غاق العيون قريرها
تحيّفها الموت الوحي فأصبحت ... بلاقع تهتاج الدموعَ قبورها
نعم درست من حسنها كل لمحة ... إذا ذكرتها النفس هيج ضميرها
ولولا يد للحرب ما غيل أمنها ... ولا باعد الدُّمّار منها سرورها
سلوا: أين أوربا وما شاد أهلها ... وأين مجاليها الفساح ودورها؟
وأين رياض أثَّ منهن كرمها ... وأين دنان طاب فيها عصيرها؟
وأين صباياها الملاح سوافرا؟ ... وهل حبَّب الأقمار إلا سفورها؟
معاهدُ فيها للقلوب منازه ... أضاءت ليالها الحسان بدورها
لسرعان ما حال الردى فأداله ... كأن لم يكن ريَّ القلوب حبورها
سلوا غائل الأرباع لو يُسأل الردى ... ألم تجن موتاً إذ زهاها غرورها
تعلكها ذو القوى فأوفضت[1] ... جوارح تغتال اليمام صقورها
فأين ليوث يتقى الدهر بأسها ... إذا ما دأت هز السماك زئيرها
تباهى بها الجرمان حتى تبددت ... حزائق أسرى لا يُعدُّ غفيرها

وما العاشقون الحرب إلا عصابة
إذا مُكِّنت في الأرض فاضت شرورها

وليس الذي يستعبد الخلق بطشه ... يناج إذا ما غيظ يوماً شعورها
فهل مُبلغ عنا بني مصر عصبة ... حموا أمماً أن تُستباح ثغورها
فأنا وقد كنا لهم خير مُسعد ... إذ الحادثات الدهم طمّ نكيرها
تذكّرهم والحرب أخمد وقدها ... بما قطعوا والحرب ذاكٍ سعيرها
تذلنا لهم أمناً ومالا وأنفساً ... يجل عن الحصر القليل وفيرها
ولما دجا ليل الخطوب وأشرقت ... قناتهمُ أن يُستلان عسيرها
تعاضدنا لهم راح المونة بَرَّةً ... تعاضدهم حتى انجلى قطريرها
وإن وردت أجنادهم حوض وقعة ... فنحن لها خلف الخطوط ظهيرها
فنحناهم من قوتنا ونفوسنا ... فهم أمة جازت ونحن جسورها
فلم تنس مصر دورها إذ تقوضت ... وغيل بها ولدانُ مصرَ وحورها

(١) أوفض: أسرع.

تعاورها (الأعداء) بضعة أشهر ... ولم تك إلا الدهر طولا شهورها
طوائرُ تجتاز السماء مغيرةً ... ألا شد ما راع النفوس مغيرها
إذا زأرت هبَّ الرقود كأنما ... دعاهم إلى يوم القيامة صورها
أصابت رجالا آمنين وروّعت ... صغاراً وشيخاناً يجل وقورها
إذا قوضت من لندن بعض دورها ... على الرغم مما ذاد عنها نسورها
ففي مصر أمثال لذاك عديدة ... إذا أُنصفت لا يُستقل كثيرها
ولما سطا (روميلُ) سطوة ظافر ... وبان من الهواة[1] حيناً شفيرها
وقفنا لهم دون الحوادث وقفة ... تغنت بها أقلامهم وصريرها
وكنا لهم أعوان صدق تحاشدوا ... على المحنة الكبرى فهان خطيرها
صبرنا لها حتى تبلج فجرها ... وأذّن بالنصر المبين بشيرها

* * *

فيا حلفاء النيل أين موائق ... منمقة ألفاظها وسطورها؟
صدحتم بها فوق المنابر عذبة ... كما صدحت فوق الغصون طيورها
فكانت حداء ساقنا عذب لحنه ... كقافلة تُحدى فتدأب عيزها
فهل حان تحقيق الذي قد قطعتمُ ... وآن لمصر أن يبين مصيرها؟
ولسنا وإن كنا السِّماحَ ضيافة ... سوى أُسد غيل لا تُرام ظهورها
أتلقحها[2] حرباً عواناً إذا انجلت ... عدانا ولم يعد الأباعد خيرها
وكيف يذيق النيل أوَّلها لظى ... أليماً ويغتال الرجاء أخيرها؟
على أننا نرجو اعتدال أمورنا ... وحق لمصر أن تصح أمورها

* * *

بني مصر إن الأرض خيس ضياغم ... فهل أنتم مثل الضعاف جزورها[3]
حييتم حياة المسنتين[4] لتنصروا ... قضية قوم لا يُضام نصيرها
فها هي ذي أمنية النصر حققت ... وجلجل في سمع الوجود نضيرها
ولا رأيَ إلا أن تهبوا جماعةً ... فاصلحت دار تشظى عشيرها[5]
لنا وطن حر نريد حياته ... كما حي عملاق الدنا وصغيرها
وأنفس أحرار إذا سيمت الأذى ... رأى عسلاصابَ المنون غيورها
وإنا وإن نيأس من الشيب إذ جروا
لإحراز أسلاب يُذم حقيرها

(١) الهواة: الهوة.
(٢) ألقح الحرب: أشعلها.
(٣) الجزور: الذبح من الابل
(٤) المسنين: المجدين.
(٥) تشظى: تفرق